جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

صنعة النثر بين كتابي

البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب(ت- ٣٣٥هـ)، وإحكام صنعة الكلام لأبي القاسم الكَلاعي (ت-بعد ٥٥٠هـ)

دراسة موازنة

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها / تخصص أدب

من الطالبة

سارة مقداد عباس عبد الوهاب

بإشراف

أ.د. فاضل عبود التميمي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م

الفصل الأول

صنعة الكاتبين: قراءة موازنة

المبحث الأول :المؤلفان، الحياة، الثقافة، الوفاة، الموازنة.

المبحث الثاني : عنوانا الكتابين.

المبحث الثالث :مضمون الكتابين.

الفصل الأول

يسعى هذا الفصل: إلى الوقوف عند كتاب ابن وهب "البرهان في وجوه البيان"، وكتاب ابو القاسم الكَلاعي " إحكام صنعة الكلام" بهدف قراءة الكتابين قراءة موازنة من خلال البحث في حياة المؤلفين وعنواني الكتابين ومضمونهما، وثقافة كل منهما، بحثاً عن المشترك ، والمختلف في ثقافة الكتابين والمؤلفين.

المبحث الأول

المؤلّفان

اولا: ابن وهب الكاتب:

من اللافت للنظر أنّ أغلب كتب التاريخ، وكتب التراجم قد أغفلت حياة هذا الأديب حتى اكتنف الغموض حياته بشكل كبير:((لئن أغفل التأريخ كثيراً من جوانب حياة هذا المؤلف، وتأريخ ميلاده، وتأريخ وفاته، فلقد كان ذلك متوقعاً، ولا سيّما أننا قد علمنا أن التاريخ لم يسجل من حياة هؤلاء إلا من اشترك منهم في الحكم، أو تقلد الوزارة، أبو الحسين قد شغله علمه وتآليفه))[١]، وقد تطرق الدكتور شوقي ضيف لنقل جزء يسير من اخبار عائلة المؤلف بقوله: ((وأسرته كانت تخدم في الدواوين العباسية منذ عصر المأمون، وكان سليمان من جلّة الكتّاب، وَوَزر للخليفتين: المهتدي بالله، والمعتمد على الله، وتوفي سنة ٢٧٢هـ، وفي ذلك ما يؤكد أن إسحاق كان يعيش في أوائل القرن الرابع الهجري فهو معاصر لقدامة))[٢]، فمن كلام الدكتور شوقي ضيف نعرف أنّ مهنة عائلة ابن وهب هي الكتابة، وهم من حاشية السلطان إذ كان جدهم وزيراً لخليفتين من الخلفاء العباسيين، لكن الدكتور حفني محمد شرف يخالف كلام شوقي ضيف فيما يخص بداية عمل العائلة آنفة الذكر

---

[١] البرهان في وجوه البيان ، ٱبن وهب الكاتب، تح : حفني محمد شرف ، مكتبة الرسالة، (د.ط)، (د.ت): ٣٤-٣٥.

[٢] البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر : ٩٥.

بالكتابة لصالح الخلفاء، فهو يرى أنهم كانوا يعملون بهذه المهنة منذ العصر الأموي، بل هو سابق لذلك؛ إذ كان احد أجدادهم كاتباً لزيد بن أبي سفيان في الشام[١]، وبهذا ربط الدكتور حفني عمل هذه الأسرة بالكتابة منذ وقت مبكر جداً أي: عصر بدايات الدولة الأموية.

وقد علا شأنهم في العصر العباسي أكثر من العصر السابق له، وهذا ما جعل بعض المحققين ينسبونهم للعصر العباسي فقط، فقد خدم بعض أفراد هذه العائلة أسرة البرامكة الشهيرة ومنهم وهب بن الحصين وهو من أجداد المؤلف، فقد كتب لخالد بن برمك، ثم لجعفر بن يحيى، ثم لذي الرياستين[٢]، الفضل بن سهل[٣]، وقد نقل الدكتور حفني محمد ثناء للوزير ذي الرياستين الفضل بن سهل في مدح وهب هذا (جد المؤلف) بقوله: ((عجبت لمن معه وهب هذا وتهمه نفسه))[٤].

وسليمان بن وهب رأس هذه الأسرة كان من كتاب المأمون، وهو من عمال محمد بن يزداد وزير المأمون، وكان حين كتب بعمر الرابعة عشرة، وبعد ذلك وَزَرَ هذا الكاتب للمهتدي بالله وكان لقبه عنده الوزير حقاً، كون من سبقه بالمنصب لم يكن مستحقاً، ولكنه قد اشتهر بأخذ الرشوة من العمال الذين يوليهم الأعمال السلطانية، وبهذا قال له الخليفة، نعم الرجل كنت لولا المؤجل والمعجل، وهي رشاوى كان يتقاضاها من العمال كما أسلفنا، ثم قبض عليه الواثق الخليفة العباسي، وأودعه السجن، لكنه خرج من السجن ليلة وفاة الواثق، وقد سجنه الموفق، ومات في

---

[١] يُنظر: البرهان في وجوه البيان(حفني محمد شرف): ٢٥.

[٢] وهو لقب لقبه المأمون للفضل بن سهل، واللقب يعني رياسة الحرب، ورياسة التدبير. يُنظر: الوزراء والكُتّاب: محمد بن عبدوس الجهشاري: تح: ابراهيم الإيباري وآخرون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١ ،١٩٣٨م: ٣٠٦.

[٣] يُنظر: البرهان في وجوه البيان (حفني محمد شرف): ٢٥.

[٤] المصدر نفسه ٢٦، نسب الدكتور حفني محمد شرف مقولة الفضل لابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان، في ترجمة الفضل بن سهل ولكن عند الرجوع للكتاب لم تجد الباحثة أنّ ابن خلكان قد ذكر العبارة المقصودة في ترجمة الفضل بن سهل: يُنظر: وفيات الاعيان : ٤/ ٤١-٤٢.

سجنه[١]، وقيل إنّه وزر للمعتمد على الله[٢]، وكان من أجداد المؤلف : ابو عبد الله، والقاسم وكلاهما من وزراء المعتضد[٣].

فهم أُسرة ذات صلة وثيقة بالسلاطين كونهم من عمالهم، ولكن القرب من السلطان يكون في بعض الأحيان نقمة لا نعمة فقد نقلت التواريخ قصة أسر المعتمد لسليمان بن وهب وتقييده، وانتهاب داره ودار ولديه وهب وابراهيم[٤]، ووهب هنا والد المؤلف، أما المؤلف نفسه فقد أغفله التاريخ ، كونه لم يكن من عمال السلطان بل كان مهتماً بعلومه، ومؤلفاته[٥]، فهذه الأسرة كما تتبع تاريخها المعاصرون، أسرة ذات شأن كونهم من عمال السلطان ووزرائه، وهذه العلاقة بين السلطان وخدمه لها إقبال وإدبار، فأقبلت عليهم تارة وأدبرت تارة أخرى، فنالوا من نعيم السلطان، وقد أصابهم جحيمه في بعض المواقف ايضاً، فكما نرى أنّ اخبار المؤلف وحياته شديدة الغموض، ولم يصلنا إلا بعض الشذرات التي جمعها المعاصرون من أخبار أسرته، أما المؤلف فهو أقلهم حظاً في الشهرة، رغم جلالة قدره فلم يُعرف إلا بالعصر الحديث: ((اعتبر ابن وهب الكاتب في الدراسات الأدبية المعاصرة نموذجاً متميزاً في درس البيان العربي ينضاف إلى البلاغي المشهور "أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" المؤسس الأول للبيان العربي في الطرح الأدبي، والرائد الأول لهذا الدرس وكلاهما حاولا التنظير للبيان العربي، لأنواع الدلالات البيانية ، لكن كلٌ على طريقته

---

[١] يُنظر: آبن الرومي حياته من شعره ، عباس محمود العقاد ، مؤسسة هنداوي ، مصر : ١٩٩-٢٠٠

[٢] يُنظر: البرهان في وجوه البيان (حفني محمد شرف) : ٢٥.

[٣] يُنظر: آبن الرومي حياته من شعره: ٢٠٠.

[٤] يُنظر: تاريخ الرسل والملوك ، محمد بن جرير الطبري (ت-٣١٠هـ)،تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر: ٥٤٠/٩.

[٥] يُنظر: البرهان في وجوه البيان (حفني محمد شرف) : ٢٤-٢٥.

وحسب متطلبات عصره))[١]، فابن وهب الكاتب تم اعتباره في العصر الحديث رائداً في هذا الفن ويعُد بمنزلة الجاحظ، ولكن يبقى هذا في العصر الحديث فحسب.

أما فيما يخص مؤلفات ابن وهب فلم يصل إلينا منها غير هذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسته، ولا نعلم إن كان له غيره ، ولم يصل إلينا، أو هو كتابه الوحيد.

ثانياً: ابي القاسم الكَلاعي: يرجع نسب أبو القاسم لأسرة ذات شأن عظيم، فهم من رجال الدولة والوزراء في الأندلس في عصر ما يعرف بملوك الطوائف، أما هو فقد كانت حياته في دولة المرابطين الذي عمل مع حكامها، ووزر لهم ولُقب أيضا بذي الوزارتين عندهم، فالعصر الذي ولد به الكلاعي أطلق عليه المؤرخون عصر الوزراء: ((وهذا القرن الخامس يصح أن يلقب بزمن الوزراء، لأنهم كثروا فيه كثرة لم تكن فيما قبله، ولم تعهد فيما بعده، وإنما كانوا يُستَوزرون لأدبهم من الكُتاب والشعراء، وبذلك عرفوا فكأن الوزارة كانت كالشعر منافسة، ثم كانوا يوزعون عليهم الخطط، كالمظالم والأحكام والإنشاء وغيرها))[٢]، فكان لهذه الإمكانية التي يمنحها العلم والأدب للشخص جعلت التنافس بهذه العلوم على أقصى أوجه.

وقد تعرض لترجمته قسم من اصحاب السير والتراجم، وقد أثنوا عليه، وعلى عائلته إلا واحداً منهم وهو الفتح بن خاقان(ت- ٥٢٩هـ) صاحب القلائد، إذ تعرض لوالد المؤلف بالسوء ، وسوف نتعرض للآراء في شخصية الكلاعي.

محمد بن عبد الغفور: وقيل إنه مات في عنفوان شبابه [٣]، فهي إشارة موجزة جداً كما نرى ، فلا يمكن الحصول منها على شيء مفيد غير أنه قد مات يافعاً،

---

[١] مرجعيات البيان عند ٱبن وهب الكاتب(٣٣٥هـ) وأثرها في التفكير البياني العربي(بحث) ، هندة بوسكين، مجلة مقاليد، العدد الثالث ، ديسمبر، ٢٠١٢م: ٢٤٠.

[٢] تاريخ آداب العرب، جرجي زيدان ، مؤسسة هنداوي ، مصر:٢١٩/٣.

[٣] يُنظر: المغرب في حلى المغرب ، ٱبن سعيد المغربي، تح : شوقي ضيف ،دار المعارف ، مصر، ط٤ :٢٤١/١ .

وقد نقل الدكتور عمر فروخ ترجمة للكلاعي: ((ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأشبيلي، ولد في مطلع القرن السادس للهجرة، وتلقى أشياء من العلم على يد أبي عبد الله بن أبي العافية، وأبي القاسم الزّنجانيّ .....ثم عمل في الكتابة في الدولة، وفي سنة ٥٣١ هـ كان كاتباً لابن تاشفين، ثم انه أدرك وفاة ابن بسام صاحب الذخيرة سنة ٥٤٢ هـ))[١]، وقد ذكره المقري في نفح الطيب بقوله: صنع ابن عبد الغفور رسالة أسماها الساجعة حذا بها حذو أبي العلاء المعري[٢]، وقد ترجم له ابن الآبار(ت-٦٥٨هـ) بقوله: ((محمد بن عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعي من أهل غرب الأندلس، يكنى أبا القاسم))[٣]، فالأخبار التي أوردها المؤرخون، والمترجمون لحياة هذا الناقد أخبار قليلة جداً وهو أمر في غاية الغرابة، فهو ليس بالشخص خامل الذكر بل كان من الوزراء.

كان جدّ المؤلف من الشخصيات المهمة فقد كان صاحب المعتمد بن عباد اخر ملوك الأندلس، وقد نقل في وصف صحبته للمعتمد: ((وكان قبل تمكن السلطان، رضيعي لبان، امهما الكأس، وفرسي رهان، ميدانهما الأنس، فلما أفضى الأمر إليه، وأديرت رحى التدبير عليه، أرعاه تلاعه، وعصب به خلاقه، وإجماعه، وتوفي ذو الوزارتين في عنفوان شباب ذلك الملك))[٤].

وقد كان والد المؤلف شخصية مرموقة مدحها الكثير، ولكن ذمها الفتح بن خاقان(ت- ٥٢٩هـ): ((قد كنت نويت ألا أثبت له ذِكراً، ولا أعمل فيه فكراً، وأدعه مطرحاً وأُقطِعه الإهمال مسرحاً، لتهوره وكثرة تقعره، فإنه كان بادي الهوج، وعر

---

[١] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٤ :٥/ ٢٨٠-٢٨١.

[٢] يُنظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت-١٠٤١هـ)، إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، (د.ط)، ١٩٦٨ : ٣/٥٥١.

[٣] التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بآبن الآبار (٦٥٨هـ)،تح : بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي، تونس ، ط١، ٢٠١١م : ٢/ ١٤٠.

[٤] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، آبن بسام الشنتريني (ت-٥٤٢هـ)، تح : احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٧م: ٢/٣٢٣.

المنهج، له ألفاظ متعقدة، وأغراض متوقدة، لا يفك معماها، ولا يعلم مرماها، مع نفس فاسدة الاعتقاد، ثابتة الأحقاد، وتنكد بالأفراح، وتحسد حتى على الماء القراح))[١]، نلاحظ من كلام الفتح أنه قد تجاوز الطعن بشخصية والد الكلاعي العلمية، إلى شخصيته وعقيدته الدينية، فهو يقول أنّ نفس ابي محمد فاسدة الاعتقاد، وقد رد بعض العلماء على كلام ابن خاقان في ذم والد الكلاعي، والقول للحجاري كما نقله ابن سعيد: ((قطع الله لسان الفتح صاحب القلائد، فإنه شرع في ذمه بما ليس هو من أهله ، والله ما أبصرت عيني شخصاً أحق بفضله منه))[٢].

إن الفتح بن خاقان ذم والد محمد الكلاعي[والد المؤلف] في كتابه قلائد العُقيان ومدح ولده أبا القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي في كتاب آخر إذ يقول: ((فتى ذكا فرعاً وأصلاً، وأحكم البلاغة معنى وفصلاً، وجرد من ذهنه الأغراض نصلاً، فدا به وفراها، وقدح زند المعالى حتى أوراها، مع صون يرتديه ولا يكاد يبديه، وشيبة ألحقته بالكهول، وأقفرت منه ربعها المأهول، وشرف ارتداه وسلف اقتفى أثره الكرام واقتداه، وله شعر بديع السرد مفوف البرد))[٣]، فالفتح بن خاقان يمدح الكلاعي كما نقلنا عنه، ويتضح مما سبق أنّ أُسرة الكلاعي لها شأن عظيم في مصاحبة السلطان، وقد سار الكلاعي على الشاكلة ذاتها، ولكن من الغريب في الأمر اغفال المصادر القديمة لهذه الشخصية إلا اليسير جداً من الأخبار ولعل ما يبرر هذا وفاته المبكرة كما نقلنا سالفاً.

---

[١] قلائد العُقيان ومحاسن الأعيان، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي ٱبن خاقان (ت-٥٢٩هـ)،تح : حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار،الأردن، ط١، ١٩٨٩م:٢/ ٤٦٦.

[٢] المغرب في حلى المغرب : ١/٤٤١-٤٤٢.

[٣] مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس، ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الأشبيلي ٱبن خاقان (ت-٥٢٩هـ)، تح : مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ط٢، ٢٠٠٧م: ١٠٠.

مؤلفاته :

نقل العلماء عدداً من أسماء مؤلفات ابي القاسم الكلاعي، حتى أنه تحدث بنفسه عن بعض الرسائل في الكتاب ولكن لم يصل إلينا إلا كتابه إحكام صنعة الكلام، فقد نقل ابن الآبار عن مؤلفات الكلاعي: منها الانتصار، ورسالة الساجعة والغربيب، إضافة لرسالة إحكام صنعة الكلام[١]،ومن الجدير بالملاحظة أن هذه المؤلفات لا نملك منها غير أسمائها، التي ذكرها الكلاعي نفسه في عارض حديثه برسالته إحكام صنعة الكلام.

الموازنة:

كانت نشأة ابن وهب مشرقية ، فقد نشأ وتعلم في بغداد ، بينما الكَلاعي نشأ في الأندلس تحديداً، وكان كلاهما من الكُتاب الحاذقين ولهم أثر بارز في تقديم البيان العربي.

كانت عائلة ابن وهب الكاتب من عمال الخلفاء والمقربين منه، وقد كانوا كُتاباً للدولة منذ عصر صدر الإسلام أي: منذ عصر الخلفاء الراشدين كما أسلفنا القول، ولم يتسلم ابن وهب الكاتب أي منصب إداري رغم نفوذ عائلته، بينما كانت عائلة الكلاعي من رجال الدولة أيضاً ولكنهم كان اغلبهم من الوزراء ، وقد تسلم الكلاعي منصب الوزير أيضاً في دولة المرابطين.

اكتنف الغموض حياة الناقدين بشكل لافت للنظر، ولكن الغموض الذي أصاب ابن وهب أكثر من غموض الكَلاعي ، وإن امكن تبرير غموض ابن وهب فيصعب تبرير غموض حياة الكلاعي، فالأول لم يتسلم أي منصب أداري بل كان عاكفاً على العلم مقبلاً عليه، عكس الآخر الذي تسلم المناصب ولقب بذي الوزارتين أيضاً، وعلى الرغم من هذا فقد أغفلته كتب التراجم إغفالاً يصعب تبريره.

---

[١] يُنظر: تكملة الصلة : ١٤٠/٢.

في ما يخص عائلة الناقدين، فيمكن القول أن عائلة ابن وهب كانت أقل حظاً من العلم والأدب، عكس عائلة الكلاعي، والسبب أنّ التزود بالعلم قد يكون لدواعي سياسية أكثر من كونه رغبة ذاتية أي: في طلب منصب أو جاه، فالزمن الذي وجدت به اسرة المؤلف كان الوزراء يتم اختيارهم من رجال الأدب، والشعر، ولاسيّما في زمن المعتمد بن عَبّاد آخر ملوك الطوائف.

تعرض بعض أفراد أسرة ابن وهب الكاتب لنكبات من الخلفاء الذين خدموهم، فقد سجن البعض، ونهبت دور البعض، بينما لم يتعرض أفراد أسرة الكلاعي لمثل هذه النكبات.

لم يعرف أفراد أسرة ابن وهب بخيانة الخلفاء، إلا ما نُقل عن سليمان بن وهب جد الأسرة، وربما أغفل أصحاب السير هذا الأمر، فلم يصل إلينا شأنه شأن الكثير من أخبار أسرة ابن وهب، بينما لم تنقل هكذا امور عن أسرة الكلاعي، فقد أثنى عليهم الجميع، عدا الفتح بن خاقان الذي تعرض لوالد المؤلف كما اسلفنا القول.

لم يصل لنا أي مؤلف لابن وهب الكاتب سوى الكتاب موضوع الدراسة، ولا حتى أسماء لمؤلفات أخرى، وربما ضاعت مع ضياع أخباره في بطون التاريخ، وعفت بفعل الزمن، بينما نقل المؤرخون، وبعض اصحاب السير اسماء كتب اخرى للكلاعي، لكن لم يصل إلينا منها سوى الكتاب موضوع الدراسة.

الثقافة :

ثقافة: **(ابن وهب):**

امتلك ابن وهب الكاتب ثقافة واسعة فهو متأثر شديد التأثر بالفلسفة اليونانية وبالمعلم الأول أرسطو طاليس وبهذا يقول الدكتور طه حسين فيما يخص قدامة ونسبة كتاب نقد النثر إليه[١]: ((وكتاب قدامة وأنا اتحفظ في نسبته إلى قدامة مؤلف

---

[١] الحديث عن كتاب نقد النثر ، ونسبته لقدامه مشكوك في أمرها بل هو جزء من كتاب البرهان في وجوه البيان لأبن وهب الكاتب وقد كشف هذا الدكتور أحمد مطلوب.

بالضبط على طريقة أرسطوطاليس في كتابه الخطابة، فكما يبدأ أرسطوطاليس في نقد اصحاب البيان ، ويحاول أن يضع بياناً جديداً ملائماً لحقيقة الأدب وطبيعة الفن ، فكذلك قدامة يبدأ بنقد كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ويرى أن هذا الكتاب لا يشفي غلة من يريدون أن يعرفوا نظريات البيان، ويعد بوضع نظريات جديدة للبيان))[١]، فالمعين الاول الذي اغترف منه مؤلف الكتاب ثقافته هو الثقافة اليونانية من كتب المعلم الأول ارسطوطاليس، ويستمر الدكتور طه حسين بمتابعة هذا الأمر فيقول: ((وقوام كتاب ارسطوطاليس ثلاثة أشياء: المنطق، والسياسة، والأخلاق...وعلى هذا النحو نظام كتاب قدامة: فقوامه المنطق والأخلاق دون السياسة))[٢]. فالمصدر الاول او معين الثقافة الخاصة بابن وهب الفلسفة، وقد كانت شائعة في زمن ابن وهب الكاتب وقد شاعت بسبب عوامل[٣]:

١. ترجمة مُتى بن يونس لكتابي "الخطابة، والشعر" لأرسطو.

٢. ترجمة يحيى بن عدي ترجمة جديدة للمنطق الأرسطي.

٣. تقريب الفارابي المنطق من الذهنية العربية.

٤. استعانة قدامة بن جعفر بالثقافة اليونانية في تأليف نقد الشعر.

والمعين الثاني: هو الدين أو بمعنى أدق الثقافة الدينية الشيعية وهو أمر قد استنبطه المعاصرون من الكتاب ذاته: يقول عبد المنعم خفاجي في المقارنة بين ثقافة ابن وهب وثقافة قدامة بن جعفر:((والاتجاه السياسي والديني لمؤلف نقد النثر هو الاتجاه الشيعي، فهو يشيد بعلي وذريته كالحسن والحسين، والباقر والصادق والرضا))[٤]، فهذا الاتجاه الديني كان له أثر بارز في ثقافة المؤلف.

---

[١] من حديث الشعر والنثر، طه حسين، دار المعارف، مصر، ط١، (د.ت) : ٧٩.

[٢] المرجع نفسه: ٧٩.

[٣] يُنظر: مرجعيات البيان عند ٱبن وهب الكاتب (ت٣٣٥هـ)،واثرها في التفكير البياني العربي(بحث): ٢٤١.

[٤] الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ، تح : محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت،ط٣، ١٩٩٣ : ١٧١.

والمعين الثالث: المتكلمون، قيل عن ثقافته: ((هي ثقافة أدبية علمية صبغت بصبغة الفلسفة، واتجاهه العقلي أكثر تأثراً بثقافة المتكلمين منه بثقافة الفلاسفة))[١]، فالعصر الذي كان فيه المؤلف هو عصر الفتح والتعليم أي: هو القرن الرابع الهجري وفيه اشتغال المتكلمين بشكل عام والمعتزلة بشكل خاص بقضايا الإعجاز القرآني، كذلك دخولهم بمجادلات مع منتسبين لثقافات أخرى، وهذا الدخول كان مرحلة نضوج نظري، وقد كان هذا النضوج سبباً في صرف بعض البلاغيين والمتكلمين لوضع قواعد وقوانين لتفسير الخطاب البياني للقران الكريم، وهذا التوجه كان له أثره الإيجابي على ابن وهب الكاتب؛ إذ استطاع ان يتبع منهجاً تحليلياً، وطريقة خاصة بالتفكير حفظت له التراث البياني، وأعادت صياغة البيان في الوقت ذاته [٢].

فمما سبق يتضح لنا أن ابن وهب الكاتب كان ذا ثقافة عالية وذهن متوقد استطاع به جمع مستجدات العصر الثقافية مثل الفلسفة، وعلم الكلام، ومن خلال ذلك استطاع أن يوظفها في إعادة تعيين المنهج الجديد والنتيجة المترتبة عليه، أي : حفظ التراث وإعادة صياغة البيان.

ثقافة (ابو القاسم الكَلاعي):

إنّ العصر والظروف السياسية السائدة فيه تكون ذات أثر بارز وواضح في حياة أي ناقد، وكما مر بنا سابقاً: أنّ كان قد وزر لآبن أمير المرابطين، والعلوم التي يقرب السلطان أصحابها تسود عكس العلوم التي تنبذ، وفي حكم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين كان يظهر ميلاً للزهد، فقرب الفقهاء، ولم يكن يُقرب منه أحد مالم يكن متقناً لعلم الفروع من مذهب مالك، فراجت كتب المذاهب، وكسد غيرها، وقد افتى الفقهاء عند هذا الأمير بكراهة الفلسفة وعلوم الكلام، وكونها تعد من البدع المحرمة، وإنّ السلف السابقين كانوا على كراهة لها، فكرهها بعض السلف، وأمروا

---

[١] الايضاح في علوم البلاغة: ١٧١.

[٢] يُنظر: مرجعيات البيان عند آبن وهب الكاتب (ت٣٣٥هـ)،واثرها في التفكير البياني العربي(بحث): ٢٤٢.

بعدم الخوض فيها، ونبذ كتبها، وإحراقها، حتى أحرقت كتب الغزالي في المغرب، وتوعد من امتلك هذه الكتب حتى وصلت الوعيد بالقتل، واستئصال المال[١]، إن هذه المقدمة التي تطرقنا لها عن الفلسفة توضح أنّ الفلسفة في ذلك العصر قد حوربت من قبل السلطان، فثقافة ثقافة دينية، أدبية، وهذا الأمر يمكن استنباطه من أدلته في تفضيل النثر على النظم، فكانت ثقافته الدينية وتوجهاته فيصلاً في حكمه النقدي، كذلك أشار نفسه في كتابه موضوع الدراسة لهذا الأمر فيقول في ختام الكتاب: ((هذا أعزَّك بضاعة استخرجتها يدُ النصيحة من صدف الفِكر، وفتقها يمينُ الأنفة من كمام الذكر وكتبها، قلم الاستعجال في صحيفة الارتجال، إذ الخاطر متقسم بين تَفَقُّه في أدب، وتَفَقُّهٍ في شرع، محافظة على فرع، وفي هذا عُذر إن وقع تقصير، ولا ينفرد بالكمال إلا السميع البصير، جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه))[٢]، فالملاحظة الأولى: أنه كان مثقفاً ثقافة دينية، والملاحظة الثانية أنه قد نهل الثقافة الأدبية بالاطلاع على مصادر المتقدمين وآرائهم، وقد تأثر بنتاج المعري، فعارضه وسار على نهجه كثيراً، كذلك لاحظنا الكثير من الآراء المأخوذة من مصادر متعددة، مثل: مقامات البديع الهمداني ورسائله، وفحولة الشعراء لمؤلفه الأصمعي، ويتيمة الدهر للثعالبي ، وكتاب ابن بسام، وزهر الآداب للحصري[٣]، فهي ثقافة أدبية منبعها أمهات مصادر من المشرق والمغرب على حدّ سواء، وهذا يوضح مدى ثقافة الكَلاعي، ويمكن اعتبار ثقافة الكَلاعي ثقافة أشمل وأوسع كون الثقافة الشرقية كانت من نصيب ابن وهب بينما الثقافة الأندلسية من نصيب الآخر، ويمكن اعتبار عصر هو عصر تفكك الدولة الأندلسية.

---

[١] يُنظر: تاريخ أداب العرب :٣/٢٢١-٢٢٢.

[٢] إحكام صنعة الكلام : ٢٥٠-٢٥١.

[٣] أدبية الخطاب النثري في كتاب إحكام صنعة الكلام، لابن عبد الغفور الكلاعي، باية بن مساهل، أطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة محمد بو مضياف بالمسيلة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٦-٢٠١٧م:٦٨

الموازنة:

تخضع الثقافة الشخصية العامة للفرد للمؤثرات التي يتأثر بها عصره في كل وقت، وهذه المؤثرات قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية ، من هنا رأينا ابن وهب الكاتب كان متعدد الثقافات، واسع الاطلاع تميز بعقلية جبّارة ، فقد كان زمنه زمن الانفتاح على الحضارات الأخرى بفعل الترجمة التي نقلت العديد من المؤلفات الفلسفية، والمنطقية للغة العربية مما سهل عليه الاطلاع عليها، فكانت هذه الظروف المتهيئة لابن وهب سبباً كبيراً في سعة ثقافته وتنوعها، فنراه يطبق المناهج الحديثة أو بمعنى أدق طبق المنطق الأرسطي في نقد الأدب كذلك الفلسفة اليونانية لارسطوطاليس وكتبه الأخرى مثل: (فن الشعر والخطابة)، فقد مزج بين نظامين معرفي بياني مثّله النحاة، ومعرفي برهاني مثّله اهل المنطق في دراسته للبيان العربي.

كذلك اطلاعه على الحراك الثقافي كما نسميه: وهو كثرة المناظرات والمناقشات العلمية والدينية، والتي أثارها المعتزلة بشكل كبير، إذ حاول المعتزلة إطلاق حرية العقل فكانت المناظرات، والمساجلات بين النحاة ، واهل المنطق داخل علوم اللغة، والفقه، ومن اللافت للنظر سعة اطلاع ابن وهب وعلمه بالمسائل الدينية الشيعية، فقد وظف هذه الحقول المعرفية في إعادة صياغة البيان العربي من قبله، فهذه الثقافة كان لها أثر بارز في كتاب البرهان في وجوه البيان، بينما حين تنظر إلى ثقافة الكلاعي فهي أدبية دينية ناتجة من الاطلاع على النتاج الأدبي والديني في عصره، وهذا الأمر يمكن تبريره كون الكلاعي كان من عمال دولة المرابطين، وهي كما عرف عنها قد قامت على أسس دينية بحتة، وكان الجهاد أحد الاسس التي بُنيت عليها هذه الدولة، فكان على الكلاعي أن يجاري الثقافة التي تشجعها الدولة، هذا من جانب، ومن جانب آخر قد نُكبت الفلسفة في عصر الكلاعي، وفي عصر علي بن يوسف بن تاشفين، الذي منع الفلسفة وأمر بإحراق الكتب الفلسفية، وتوعد

من يمتلكها بالقتل، وانتهاب المال، فكان منه العداء لعلم الكلام والفلسفة والمنطق، بينما نرى ثقافة الكلاعي الدينية والأدبية واضحة الظهور في كتابه، ولا سيّما تأثّره بابي العلاء المعري الذي كان الكلاعي شديد التأثر به، وعارضه بكثير من كلامه، وقد استحضره شاهداً بكثير من المواضيع التي ضمّنها في كتابه إحكام صنعة الكلام.

بإيجاز كانت ثقافة ابن وهب ثقافة مشرقية اكتفت بذاتها وما جاورها من ثقافات أثرت في خطابها من هندية، وفارسيّة، وبيزنطية ، بينما ثقافة الكلاعي كانت أندلسية متأثرة بثقافة الشرق والدليل على ذلك تأثره بأبي العلاء المعري وغيره.

الوفاة:

لم يذكر المؤرخون تاريخ وفاة ابن وهب الكاتب، ولكن بعض المعاصرين قد قدروها بنحو (ت-٣٣٥هـ)[١]، أما الكلاعي فقد نقل بعض المعاصرين تواريخ لوفاته ولكن كلها أو جلها تقديرية فمن التواريخ المنقولة عند المعاصرين أن الكلاعي قضى بنحو (ت-٥٥٠-٥٥٤هـ)[٢]، ويرى الدكتور عمر فروخ أنه قد مات بعد وفاة ابن بسام أي نحو ٥٤١هـ، وقد كان مغتبطاً بموته[٣]، وقد كان الكلاعي قد صحب ابن بسام وكان من طبقته من الأدباء[٤]، ولكن محقق كتابه قال أنها بعد ٥٥٠هـ[٥].

الموازنة:

اكتنف الكثير من الغموض حياة الناقدين ، وكذلك وفاتهما، ولكن الغموض الأكبر شمل ابن وهب الكاتب، وكما أغفل المؤرخون تاريخ ولادته ؛ فقد أغفلوا تاريخ وفاته

---

[١] يُنظر : التفكير الأجناسي في كتاب البرهان في وجوه البيان لأبن وهب الكاتب(بحث): ٦٩، مرجعيات البيان عند أبن وهب الكاتب (٣٣٥هـ): ٢٣٩.

[٢] يُنظر: المفاضلة بين الشعر والنثر في التراث النقدي الأندلسي(بحث) ، شريف راغب العلاونة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج١٨، عدد(٣٧)، ١٤٢٧هـ: ٤٧٢

[٣] يُنظر: تاريخ الأدب العربي ، عمرو فروخ : ٢٨٠/٥.

[٤] يُنظر: التكملة لكتاب الصلة : ٢/ ١٤٠.

[٥] يُنظر : إحكام صنعة الكلام : ١٣.